الأقلية الإسماعيلية:
فرص الاندماج بعد تاريخ طويل من الاضطهاد

ميساء شجاع الدين وصلاح علي صلاح
وهدى جعفر وأحمد أبو ذر

26 أكتوبر 2022



الأقلية الإسماعيلية: فرص الاندماج بعد تاريخ طويل من الاضطهاد

ميساء شجاع الدين وصلاح علي صلاح
وهدى جعفر وأحمد أبو ذر

26 أكتوبر 2022

صورة الغلاف: ضريح حاتم محيي الدين، الزعيم الموقر لدى الطائفة الإسماعيلية، في منطقة حطيب بمديرية حراز غرب محافظة صنعاء ، تاريخ 16 يناير/ كانون الثاني 2022 // صورة لمركز صنعاء بعدسة عاصم البوسي.



مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية هو مركز أبحاث مستقل يسعى إلى إحداث فارق عبر الإنتاج المعرفي، مع تركيز خاص على اليمن والإقليم المجاور. تغطي إصدارات وبرامج المركز، المتوفرة باللغتين العربية والإنجليزية، التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، بهدف التأثير على السياسات المحلية والإقليمية والدولية.

الملخص التنفيذي

تُعد الإسماعيلية ثاني أكبر المذاهب الشيعية على مستوى العالم، بعد المذهب الاثني عشري. يرتبط أتباع المذهب الإسماعيلي في اليمن بجذور تاريخية عميقة بالبلاد تمتد لألف عام، رغم تراجع أعدادهم لصالح أتباع المذهبين الزيدي الشيعي والسني. ينقسم أتباع الطائفة الإسماعيلية إلى فئتين: فئة النزارية الإسماعيلية المنتشرين في مختلف بقاع الأرض بأعداد تفوق الفئة الثانية، وهي الطيبية من الإسماعيلية المستعلية التي تنحدر منها الأقلية الإسماعيلية الموجودة في اليمن والتي تعيش بجبال حراز في شمال اليمن ومدينة عدن في الجنوب. انبثقت هاتان الفئتان للطائفة الإسماعيلية بعد نشوب خلاف بشأن القيادة والعقيدة خلال فترة الخلافة الفاطمية التي اتخذت مصر مركزًا لحكمها بين عام 969 و1171 ميلادية.

ازدهر حكم الإسماعيليين في اليمن خلال حقبة الدولة الفاطمية، لكن أتباع الطائفة تعرضوا لاضطهاد شديد في وقت لاحق، خلال فترة حكم الإمامة الزيدية. شكلت الثورة اليمنية عام 1962 نقطة تحول بالنسبة للإسماعيليين في الشمال حيث أنهت حقبة طويلة من الاضطهاد، لكنها لم تقضِ على الصور النمطية السلبية المحيطة بهم داخل المجتمع. تتمتع الطائفة الإسماعيلية حاليًا بعلاقة جيدة مع الحوثيين في الشمال، إلا أن الوضع مختلف في عدن حيث يستقر عدد من الإسماعيليين ممن عادوا من الهند خلال فترة الاستعمار البريطاني (1839-1967).

واجه الإسماعيليون اتهامات من قِبل الجماعات السلفية (التي تنامى نفوذها في اليمن خلال تسعينيات القرن الماضي) بالانحياز إلى صف الحوثيين في أعقاب اندلاع الحرب عام 2015، باعتبار أن كليهما ينتميان للمذهب الشيعي. وبعد طرد الحوثيين من عدن، بدأ السلفيون باستهداف أتباع الطائفة الشيعية بمن فيهم الإسماعيليون الذين دُمر مسجد لهم خلال تلك الفترة؛ ما دفعهم للمغادرة إلى أحياء أخرى أو مغادرة عدن تمامًا. ينشط الإسماعيليون اليوم في الاقتصاد اليمني حيث ينخرط معظمهم في أعمال بالقطاع الخاص، إضافة إلى توليهم مبادرة فريدة لاستبدال زراعة شجرة البن بشجرة القات، التي تحقق تقدم بالفعل في حراز.

تسلّط هذه الورقة الضوء على تاريخ الطائفة الإسماعيلية والمشاكل الحالية التي يعاني منها أتباعها وتطرح عددًا من التوصيات الرامية إلى إعادة إدماجهم داخل المجتمع. ينبغي على المناهج التعليمية في الدولة إبراز الإسهامات الفريدة للإسماعيليين في تاريخ وثقافة واقتصاد اليمن، كجزء من حملة توعية تهدف إلى تصحيح الأفكار المسبقة والصورة النمطية المشوهة عنهم. كما يتعيّن اتخاذ إجراءات قانونية تحظر خطابات الكراهية والتحريض ضدهم، ومنح الإسماعيليين فرصة الوصول إلى المخطوطات المحتفظ بها في الجامع الكبير بصنعاء. ينبغي أن تكفل الحكومة المعترف بها دوليًا توفير الحماية للإسماعيليين في عدن، والسماح لأتباع هذه الطائفة بالعودة للعيش وسط مجتمعاتهم وإعادة بناء مساجدهم التي هُدمت. وأخيرًا، على الحكومة والجهات الدولية الداعمة لها النظر في وضع الإسماعيليين كنموذج يعكس واقع الأقليات بصورة عامة وكيف سيتم التعامل معهم داخل اليمن متى ما انتهت الحرب.

المقدمة

تعد الإسماعيلية إحدى أقدم الطوائف الدينية في اليمن، بتاريخ يمتد لألف عام عاش خلالها أتباعها تقلبات الدهر. هي ثاني أكبر جماعة شيعية في اليمن حيث يتراوح عدد أتباعها بين 70 ألف و100 ألف شخص يتركز وجودهم في العاصمة صنعاء ومنطقة حراز (جنوب غرب صنعاء)، وإب (وسط اليمن)، وعدن (جنوب). حكم الإسماعيليون اليمن خلال القرون الوسطى حيث أسسوا الدولة الصليحية كامتداد للدولة الفاطمية (1074-1138)، لكن مع صعود الإمامة الزيدية في القرن السادس عشر، بدأت حقبة طويلة من اضطهادهم. نتيجة لذلك، انتقل مركز الدعوة من حراز إلى الهند ونجران، التي أصبحت جزءًا من السعودية عام 1934.

يتفرع الإسماعيليون في اليمن إلى فئتي السليمانيين والداوودين. يتبع السليمانيون مركز الدعوة في نجران، ويشكلون غالبية الإسماعيليين في الشمال الذين يُعرفون في اليمن باسم المكارمة، نسبة إلى الأسرة التي تتولى عادة قيادة الطائفة. أما الداووديون فيتبعون القيادة الدينية الإسماعيلية في الهند، ومقرها حاليًا في مومباي، حيث يُعرفون غالبًا باسم البهرة (كلمة غجراتية تعني تاجر)، وتضم هذه الفئة الإسماعيليين الذين يعيشون في عدن، إضافة إلى جماعة صغيرة منهم في الشمال.

رغم استمرار تأثر أتباع الطائفة بالوصم الاجتماعي القائم منذ أمد بعيد، تحسّن وضع الإسماعيليين داخل المجتمع اليمني بصورة ملحوظة إبان قيام الدولة اليمنية الحديثة عام 1962. يتمتع أتباع الطائفة بعلاقات جيدة مع الحوثيين في شمال اليمن، إلا أن وضعهم مختلف في عدن حيث عانوا من تحريض متنامي ضدهم من قِبل السلفيين في السنوات الأخيرة، خاصة خلال فترة الصراع الدائر ما دفع بعضهم إلى مغادرة بعض المديريات التي كانوا يقطنون فيها. بشكل عام، ينتاب أتباع الطائفة استياء إزاء فشل الحكومات اليمنية المتعاقبة في صنعاء بالسماح لهم بالوصول إلى المخطوطات التاريخية المُحتفظ بها في أرشيفات سرية، مما عزلهم بشكل أساسي عن إرثهم الثقافي والديني حسب الانطباع السائد بينهم. بالتالي، يسعى الإسماعيليون لاسترداد حقوقهم الكاملة من الدولة اليمنية، بعد سوء المعاملة والتحريف الذي طال معتقداتهم لقرون من الزمن.

تُناقش هذه الدراسة التاريخ والمذهب الإسماعيلي، إضافة إلى المجتمع الإسماعيلي المعاصر، بما في ذلك تأثير الصراع الدائر على أتباع الطائفة بشكل عام ومعاناتهم من الاضطهاد، خاصة في مدينة عدن. تجادل الدراسة بأهمية حماية الطائفة الإسماعيلية والاحتفاء بها باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الإرث الثقافي العريق لليمن.

المنهجية

ركزت الدراسات السابقة التي تناولت الطائفة الإسماعيلية في اليمن على وضعها في الماضي عوضًا عن وضعها في الوقت الحاضر. تتناول هذه الدراسة وضع الطائفة الإسماعيلية في الماضي والحاضر، مستندة إلى مجموعة من الدراسات المنشورة عن تاريخهم ومذهبهم، ومقابلات أُجريت مع أتباع الطائفة الإسماعيلية راعت التنوع حسب نوع الجنس والعمر والمنطقة.

ركزت المقابلات على اندماج الإسماعيليين في المجتمع، والصورة النمطية السلبية الشائعة عنهم والتهديدات الأمنية التي تواجههم، لا سيما في عدن. صِيغت أسئلة مختلفة تستهدف مختلف الفئات العمرية، ممن خاضوا تجارب في الماضي تغيرت تبعًا للتغيرات التي طرأت على المجتمع اليمني منذ عام 1962. هدفت الدراسة إلى استقاء المعلومات عن مدى التزام الشباب الإسماعيليين بالقوانين التقليدية للطائفة، وتحديد أدوار النساء والأنشطة التجارية في المجتمع الإسماعيلي، واستكشاف علاقة الإسماعيليين مع غيرهم من المكونات الأخرى في المجتمع اليمني، إلى جانب تسليط الضوء على التهديدات الأمنية التي يواجهها أتباع الطائفة. بلغ عدد المقابلات التي أُجريت 30 مقابلة حُددت أسئلتها سلفًا، بما في ذلك عشر مقابلات أُجريت مع نساء؛ علمًا أن 16 مقابلة أُجريت بصفة شخصية، وأربع مقابلات عبر الهاتف، وعشر مقابلات وُزعت أسئلتها مكتوبة.

تعذّر عقد مجموعات نقاش بؤرية بسبب الطبيعة المحافظة للمجتمع الإسماعيلي في الشمال والمخاوف الأمنية لديهم في الجنوب. نظرًا لعدم ارتياح معظم من قُوبِلوا بالتحدث عن الطائفة مع أفراد من غير الإسماعيليين، أجرى المقابلات باحثان ينتميان للطائفة الإسماعيلية، أحدهما من المكارمة في الشمال والأخرى باحثة من البهرة في الجنوب. رغم هذه الترتيبات، لم يُعرّف بعض الأشخاص الذين قُوبلوا عن أنفسهم كإسماعيليين، مفضلين تقديم أنفسهم ببساطة باعتبارهم يمنيين. اثنا عشر شخصًا من أصل الـ 30 المُقابلين -بما في ذلك امرأتان من أصل النساء العشر- كانوا من الشمال بينما البقية من الجنوب. قُدمت ضمانات لجميع من قُوبِلوا بإخفاء هويتهم وعدم توظيف الدراسة لأي أغراض سياسية.

الطوائف والسلالات الإسماعيلية

تُعد الإسماعيلية ثاني أكبر المذاهب الشيعية على مستوى العالم، ويقدر عدد أتباعها باثني عشر مليون متوزعين في 25 دولة.[1] تأسس المذهب الإسماعيلي عام 148 هجرية الموافق 765 إثر خلاف بين أنصار الإمام علي بن أبي طالب (المعروفين بالشيعة) بشأن من سيخلف الإمام السادس جعفر الصادق. اعترفت الغالبية بابنه موسى الكاظم كإمام جديد، بينما أيدت مجموعة أخرى ذرية إسماعيل -الأخ غير الشقيق والمتوفي لموسى -وهي المجموعة التي شكلت نواة المذهب الإسماعيلي، عُرفوا لاحقًا بالإسماعيليين.[2]

عاش الإسماعيليون فترة ما يعرف بـ"الستر" لمدة قرن تقريبًا حتى تأسيس الخلافة الفاطمية، أول خلافة غير سنية تحكم مناطق شاسعة من العالم الإسلامي وتسيطر على شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام واليمن. استمرت الخلافة الفاطمية لما يقرب من قرنين من الزمن (909-1171) حيث تأسست في ظلها مدينة القاهرة عام 969،[3] وشهد عصر حكمها تأسيس جامع الأزهر عام 972 الذي أصبح أحد أبرز المعاقل التاريخية لنشر تعاليم الدين الإسلامي، إلى جانب إنشاء مكتبة دار الحكمة عام 1004. خلال هذه الحقبة، تأسست الدولة الصليحية (الإسماعيلية) في اليمن (1047-1138) كامتداد للخلافة الفاطمية.

وصل دعاة المذهب الإسماعيلي أبي القاسم الحسين بن فرح بن حوشب وعلي بن الفضل إلى اليمن لأول مرة عام 881، مستغلين بُعد اليمن جغرافيًا عن مركز الخلافة العباسية في بغداد. في عام 897، قَدِم إلى اليمن ممثل عن المذهب الشيعي الزيدي، الهادي يحيى بن الحسين ونصّب نفسه كإمام زيدي في منطقة صعدة، مؤذنًا بقرون من التنافس بين الطائفتين.

كانت الملكة أروى بنت أحمد الصليحي، زوجة ثاني ملوك الدولة الصليحية أحمد بن علي بن محمد الصليحي قبل أن تتولى مقاليد الحكم بنفسها في حوالي عام 1097، لتكون بذلك إحدى أولى القيادات النسائية في العالم الإسلامي. كما كانت المرأة الوحيدة في التاريخ الإسلامي التي تمارس السلطة السياسية والدينية في آن واحد -بحُكم طبيعة المذهب الإسماعيلي الذي يتيح ذلك -ومُنحت لقب "الحُجة" بوصفها ملكة شيعية إسماعيلية. ما تزال العديد من المعالم الأثرية التي شُيدت خلال فترة حُكمها قائمة حتى اليوم، بما في ذلك قنوات الري في إب وتعز، والتوسعة التي شهدها الجامع الكبير في صنعاء، والمسجد المُسمى على اسمها في مدينة جبلة في محافظة إب، حيث يوجد ضريحها.[4] تعد الملكة أروى إحدى الشخصيات التي تحظى بمكانة عظيمة في تاريخ اليمن، حيث تتغنى بها الأهازيج الشعبية والأغاني الوطنية حتى يومنا هذا، ويرتبط اسمها بفترة من الرخاء والازدهار عاشتها البلاد تحت حُكمها.[5]

[1] فرهاد دفتري، الإسماعيليون: تاريخهم وعقائدهم. (لندن: دار الساقي للنشر والتوزيع، 2012، الطبعة الثانية)، ص 17

[2] دفتري، الإسماعيليون، ص 170.

[3] فرهاد دفتري و جيوا شاينول. الخلافة الفاطمية: تنوع التقاليد (لندن: دار آي بي توريس للنشر، 2018)، ص 5-1.

[4] بلال الطيب، "الإسماعيليون في اليمن (5)"، موقع بوابتي، 28 نوفمبر/تشرين الثاني 2020. https://bawabatii.net/art229383.html

[5] الطيب، "الإسماعيليون في اليمن"

نساء يبتهلن أمام ضريح الملكة أروى الواقع في مدينة جبلة باليمن، تاريخ 1 أبريل/نيسان 2016 // مصدر الصورة: رود وادينغتون/ مؤسسة المشاع الإبداعي.

لكن بوفاتها، تحولت الطائفة الإسماعيلية تدريجيًا من جماعة حاكمة إلى أقلية محصورة في مواقع جغرافية صغيرة، وانخفضت أعداد الإسماعيليين تدريجيًا مع تصاعد الصراع مع منافسيهم من الطائفة الزيدية.

انقسم الإسماعيليون خلال فترة حكم الدولة الصليحية إلى فئتين رئيسيتين بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر عام 1094: فئة النزارية، وهم أتباع نزار ابن الخليفة المستنصر ممن تركزوا في بلاد الشام وشمال إيران، وفئة المستعلية، أتباع المستعلي ابن المستنصر، في مصر واليمن.[6] انقسمت لاحقًا الفئة المستعلية -إثر خلاف نشب مرة أخرى بشأن الوارث الشرعي للخليفة الآمر بأحكام الله (الذي أُغتيل عام 1130) -إلى فرع الحافظية الإسماعيلية، الذين اتبعوا ابن عمه الحافظ لدين الله، والطيبية الإسماعيلية، الذين اتبعوا ابن الخليفة البالغ من العمر عامين الطيب أبو القاسم.

اندثر فرع المستعلية الحافظية بعد سقوط الدولة الفاطمية، ليبقى فرع المستعلية الطيبية. كانت الملكة أروى من أتباع الطيب أبو القاسم وأصبحت الوصي عليه في اليمن، وهكذا نجد أن أتباع الطائفة الإسماعيلية الموجودين في شمال اليمن ينحدرون من فرع المستعلية الطيبية،[7] وأصبحوا المثلين الوحيدين لهذا الفرع عقب اندثار وجود الإسماعيليين في مصر وبلاد الشام بعد حُكم الفاطميين.[8] دفع صعود الإمامة الزيدية في القرن السادس عشر الزعماء الدينيين من أتباع الطائفة الإسماعيلية للفرار إلى الهند ونجران -أصبحت جزءًا من الدولة السعودية الحديثة -هربًا من الاضطهاد.[9]

نشأ مجتمع من أتباع الطائفة الإسماعيلية في شمال غرب الهند بعد وصول أول داعية إسماعيلي إلى غجرات عام 1067. اعتنق الملك الهندوسي سيدهاراج جايسين (1133-1094) وشريحة كبيرة من السكان المحليين المذهب الإسماعيلي، وأصبحوا يعرفون باسم البهرة، نسبة إلى وضعهم كتجار.[10] شهد القرن السادس عشر تدفق الإسماعيليين والزعماء الدينيين من أتباع الطائفة إلى إقليم غجرات، هربًا من الاضطهاد الزيدي في اليمن، لكن سرعان ما وقع انقسام بين الإسماعيليين الموجودين في اليمن والموجودين في الهند حول من سيخلف الداعية داوود بن عجب شاه بعد وفاته عام 1591. فقد اتبع معظم الإسماعيليين في الهند نائبه داوود قطب باشا كإمام أو داعية مطلق ما أدى إلى تأسيس الإسماعيلية الداوودية، فيما اتبع معظم من بقوا في اليمن نائبه هناك، سليمان بن حسن الهندي.[11]

انتقل مقر دعوة الإسماعيلية السليمانية من حراز إلى نجران خلال عهد الداعي السليماني محمد بن الفهد المكرمي (المتوفى عام 1633)، وهو من فرع أسرة المكرمي -في قبيلة يام -التي توارثت السلطة هناك حتى مجيء غلام حسين من الهند ليتولى منصب الداعي السليماني عام 1936. اليوم، ينحدر غالبية الإسماعيليين في شمال اليمن من الفرع السليماني للإسماعيلية المستعلية، في حين ينتمي أولئك الموجودون في عدن غالبًا إلى الفرع الداوودي.[12]

[6] "الأئمة الإسماعيليين -لمحة تاريخية،" معهد الدراسات الإسماعيلية، بدون تأريخ، https://www.iis.ac.uk/media/5akmvywa/the-ismaili-imamat-brief-history.pdf

[7] الأئمة الإسماعيليين -لمحة تاريخية،" معهد الدراسات الإسماعيلية

[8] دفتري، الإسماعيليون، ص 297 - 307.

[9] فرهاد دفتري.(محرر)، تاريخ الإسماعيليين الحديث: الاستمرار والتغيير لجماعة مسلمة. (لندن دار الساقي، 2013)، ص42-41.

[10] فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث:، ص 500.

[11] فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث:، ص 500.

[12] المصدر السابق: فرهاد دفتري، تاريخ الإسماعيليين الحديث:، ص 500.

يشكل فرع الإسماعيليين النزاريين -الذي تأسس خلال فترة حُكم الدولة الفاطمية -الجزء الأكبر من أتباع الطائفة الإسماعيلية حول العالم، حيث يبلغ عددهم حوالي 12 مليون نسمة ينتشرون في أفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية منذ القرن التاسع عشر.[13] نجح السلطان محمد شاه آغا (1877-1957) في تأسيس مجالس تدير هذه الطائفة النزارية بتراتبية على المستوى المحلي والوطني والإقليمي، كما وضع دستور ينظم قواعد الزواج والطلاق والميراث وينظم علاقة النزاريين فيما بينهم ومع غيرهم من خارج طائفتهم.[14]

يشكل فرع الداوودين من الإسماعيلية المستعلية ثاني أكبر طائفة في الوقت الراهن، حيث يُقدر عددهم بمليون ونصف المليون شخص يقيمون بشكل أساسي في الهند واليمن، مع وجود عدد قليل من أتباع هذا الفرع في الإمارات ومصر.[15] أسس الداووديون الجامعة السيفية في مدينة سورات بإقليم غجرات أواخر القرن الثامن عشر عام 1798، كامتداد للجامع الأزهر الشريف بهدف تدريس الفكر الفاطمي.[16] وافتتح محمد برهان الدين، الداعية الداوودي الثاني والخمسون، فروعًا للجامعة بمدينة كراتشي في باكستان عام 1983؛ وفي العاصمة الكينية نيروبي عام 2011؛ وفي مدينة مومباي بالهند عام 2013.[17] كما أعاد الداووديون ترميم عدد من المباني التاريخية، كترميم مسجد الكوفة المعظم وجامع الحاكم بأمر الله في مصر.[18]

يعد فرع السليمانيين من الإسماعيلية المستعلية أصغر الطوائف الإسماعيلية حاليًا، ويبلغ عددهم حوالي مليون شخص ويوجدون في اليمن والسعودية. يعاني الإسماعيليون في السعودية من التهميش والإقصاء من الوظائف الحكومية، وتحريض الكراهية ضدهم في المناهج الدراسية، والتضييق عليهم فيما يتعلق ببناء مساجدهم أو توسيعها.[19]

حاليًا، يكلف الداعي الداوودي في الهند شخصًا ينوبه في اليمن،[20] ومن جهة أخرى يُعين الداعي السليماني في نجران أشخاصًا ينوبونه في كل منطقة يوجد بها الإسماعيليون في البلاد.[21] ما يزال الإسماعيليون يشكلون ثاني أكبر طائفة شيعية باليمن بعد الزيديين، ويتوزعون ما بين صنعاء وقرية طيبة في همدان وحراز وعراس والعدين في إب، إضافة لمدينة عدن.[22] لا توجد إحصائية دقيقة عن أعداد الإسماعيليين في اليمن إلا أن بعض التقديرات تشير إلى أن عددهم يتراوح ما بين 70 ألف و100 ألف شخص.[23]

[13] "مقدمة عن سمو الأغا خان"، موقع معهد الدراسات الإسماعيلية، تم دخول الموقع بتاريخ 25 يوليو/ تموز 2022، https://www.iis.ac.uk/his-highness-aga-khan/

[14] "مقدمة عن سمو الأغا خان"، موقع معهد الدراسات الإسماعيلية، تم دخول الموقع بتاريخ 25 يوليو/ تموز 2022، https://www.iis.ac.uk/his-highness-aga-khan/

[15] مصطفى عبد الحسين، "البهرة"، في موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث، تحرير جون إسبوزيتو (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1995)، http://www.oxfordislamicstudies.com/article/opr/t236/e0120

[16] طاهرة قطب الدين "الطيبيين البهرة الداوودين: الأيديولوجيا والأدب والتعليم والممارسة الاجتماعية." في تاريخ الإسماعيليين الحديث: الاستمرار والتغيير لجماعة مسلمة. تحرير فرهاد دفتري (لندن: دار آي بي توريس للنشر، 2011)، ص 331-354.

[17] "مرحبًا بكم في الجامعة السيفية،" موقع الجامعة السيفية ، تم دخول الموقع في 25 يوليو/ تموز 2022، https://jameasaifiyah.edu/

[18] "نبذة عن تاريخ الجامعة السيفية"، موقع الجامعة السيفية، تم دخول الموقع في 25 يوليو/ تموز 2022، https://jameasaifiyah.edu/philosophy-history/brief-history

[19] "الإسماعيليون في نجران.. مواطنون سعوديون من الدرجة الثانية". هيومن رايتس ووتش، 22 سبتمبر/ أيلول 2008، https://www.hrw.org/ar/report/2008/09/22/223144

[20] قطب الدين "الطيبيين البهرة الداوودين"

[21] مقابلة عبر الزووم مع باحث من الطائفة الإسماعيلية، 1 ديسمبر/ كانون الأول 2021

[22] دومينيك هاري، "التبادل والتنقل في غرب المحيط الهندي: الهنود بين اليمن وإثيوبيا، في القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة Chroniques du Manuscrit au Yémen، عدد خاص رقم 1 (2017)، الصفحات 42-69.

[23] تقدر الطائفة أعدادهم بنحو مليون، انظر "من هم الإسماعيليون؟" مركز إنصاف للدفاع عن الحريات والأقليات، 27 مارس/ آذار 2020، https://insaf-ye.org/ar/archives/1242

الفكر الإسماعيلي

أُرسيت أسس ومفاهيم الفقه الإسماعيلي إلى حد كبير إبان حُكم الدولة الفاطمية، على يد علماء من أمثال القاضي النعمان (المُتوفى عام 974) من خلال كتابه، دعائم الإسلام. على غرار المذهب الزيدي، يولي المذهب الإسماعيلي أهمية أقل للأئمة كسلطة مرجعية على عكس التيار الجعفري (أو الشيعة الإثني عشرية).[24] أضاف الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ركني الولاية والطهارة إلى أركان الإسلام الخمسة المعروفة في المذهب الإسماعيلي -وهي الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد. لعل أبرز المفاهيم في الدعوة الإسماعيلية هو التشديد على استكشاف ما وراء التأويل (الظاهر) للقرآن وهو ما يُعرف في المذهب الإسماعيلي بالتأويل الباطن. يؤمن الإسماعيليون بأن تأويل القرآن ينحصر فقط على الداعي الإسماعيلي ونوابه.[25]

في بداية تعليمه الفقه الإسماعيلي، يتلقى الطالب المفاهيم والعبادات الظاهرة، ثم يُطلب منه القَسَم بعهد التزامه بالتأويل الظاهر والباطن، وعدم الكشف عن هذه المعتقدات والممارسات لغير المأذون لهم. كانت مجالس تعليم الفقه الإسماعيلي مفتوحة للعامة في عهد القاضي النعمان إلا أن مجالس الحكمة التي تُدرّس فيها المعرفة التأويلية للنص القرآني كانت تقتصر على نخبة المستجيبين. تأثر الفكر الإسماعيلي باتجاه فلسفي ظهر في البصرة خلال القرن العاشر الميلادي يعرف باسم إخوان الصفا، ويركز على مجالات الرياضيات وعلم الفلك والفلسفة والطبيعيات وعلم التوحيد.[26] يتفرد الإسماعيليون عن بقية المسلمين في استخدامهم تقويمًا فلكيًا وضعته جماعة إخوان الصفا لتحديد بدايات الأشهر القمرية في الدين الإسلامي.[27]

تتفاوت التراتبية في المرجعية الدينية بين الطوائف الإسماعيلية. فبالنسبة للسليمانيين، يبدأ تدرّج المرء من رتبة (مستجيب)، ثم رتبة (مؤمن)، ويرتفع إلى رتبة (مأذون) محصور، مُكلّف بأداء بعض المهام الدينية ضمن حدود منطقة معينة، يلي ذلك رتبة (المأذون المطلق) المُكلّف بأداء مهام دينية على نطاق أوسع، حتى يصل المرء إلى رتبة (الداعي المطلق) التي تمنح صاحبها سلطة تامة لتعيين الآخرين على الرتب الدينية.[28] بالنسبة للداووديين، توجد تسع رُتب، تبدأ بالملا، وهو الذي يتولى ممارسة الشعائر الدينية مثل الصلوات وعقود الزواج، وصولًا الى أعلى رتبة وهي الداعي المطلق، الذي يظل صاحبه غير معروف لدى عامة أبناء الطائفة الإسماعيلية بسبب حالة الستر أو الغيبة المرتبطة بالإمام السابع.[29] عادة ما تنتقل السلطة من داعٍ إلى آخر عبر نص تعيين يقوم به الداعي الحالي، إلا أن ذلك لم يمنع نشوب الخلافات حول التعاقب على هذه الرتبة حتى عهد قريب.[30]

[24] إسماعيل بونوالا. الإسماعيليون في العصر الوسيط : تاريخهم وعقائدهم. فصل: القاضي النعمان والفقه الإسماعيلي. (دمشق: دار المدى، 2003).
[25] قطب الدين "الطيبيين البهرة الداووديين"
[26] دفتري، الإسماعيليون، ص 297 - 307.
[27] قطب الدين "الطيبيين البهرة الداووديين"
[28] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 6 يناير / كانون الثاني 2022.
[29] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني. 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021؛ انظر كذلك قطب الدين "الطيبيين البهرة الداووديين"
[30] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 6 يناير/كانون الثاني 2022. على سبيل المثال، نشب خلاف في نجران عام 2011 ولكن تم حله.

الإرث الثقافي للإسماعيلية في اليمن

يعد الإسماعيليون في اليمن هم حفظة الإرث الثقافي للدولة الفاطمية وإنجازاتها، حيث حُفظت المخطوطات لديهم فيما كان يسمى بـ(المحرزة) أي الخزنة المكنونة، حتى نُقلت بعد القرن السادس عشر من اليمن إلى مدينة سورات في الهند خوفًا من تدميرها في خضم الصراع مع الإمامة الزيدية ذلك الوقت.[31] شهدت السنوات الأخيرة إتاحة بعض من هذه المخطوطات للمؤسسات الأكاديمية في بريطانيا وإيطاليا وغيرها، فضلًا عن إتاحة مخطوطات تحتفظ بها بعض الأسر الإسماعيلية.[32]

مع ذلك، تُعد إحدى الشكاوى الرئيسية للإسماعيليين في اليمن حاليًا هي استمرار تقييد الوصول للمخطوطات التي صُودرت خلال فترة حُكم الإمامة، التي تشمل نصوصًا في الفقه الإسماعيلي واللغة، والفلسفة،[33] وردود على الزيدية.[34] في عهد الإمام يحيى حميد الدين (1918-1948) نُقلت المخطوطات الإسماعيلية التي عثر عليها في سقف الجامع الكبير بصنعاء بعد ثورة 1962 إلى دار المخطوطات في المدينة ذاتها، حيث ما تزال غير متاحة للعامة.[35] طالبت الطائفة الإسماعيلية في اليمن خلال مؤتمر الحوار الوطني (2013-2014) بإتاحة الوصول إلى هذه المخطوطات والاعتذار عما لحق بها من اضطهاد عبر التاريخ.[36] توجد بعض من المخطوطات الإسماعيلية متاحة للعامة -بمن فيهم للباحثين من غير الإسماعيليين -في مركز الدراسات والبحوث اليمني في صنعاء، والمكتبة المركزية لجامعة صنعاء، ومؤسسة الهمداني الثقافية في صنعاء، ممن أتاحت بعض من هذه المواد عبر مواقعها الإلكترونية.[37]

وفي حين أن العديد من المعالم الأثرية للإسماعيليين، التي يعود تأريخها إلى عهد الملكة أروى، أصبحت محمية الآن باعتبارها أوقافًا إسلامية -أي مؤسسات إسلامية غير خاضعة للضريبة -دُمر العديد من الأضرحة الأخرى، معظمها بشكل متعمد، بسبب الاعتقاد السلفي أن زيارة القبور والتشفع بالموتى تعد ممارسة خرافية لا تمت للإسلام بصلة.[38] استهدفت الجماعات السلفية كلًا من المزارات الإسماعيلية والزيدية، مثل ضريح الداعي الإسماعيلي إبراهيم بن حسين الحامدي في صنعاء، الذي دُمر عام 2004.[39] ما تزال هناك مساجد إسماعيلية قائمة في صنعاء ومدن أخرى، إلا أن أبرز أماكن تجمع الإسماعيليين تشمل مركز الفيض الحاتمي في صنعاء حيث يلتقي الداووديون في المناسبات الدينية، وفروعه في مدينتي زبيد وجبلة. أُغلق فرع عدن منذ اندلاع الحرب عام 2015 بسبب الوضع الأمني.[40]

[31] دفتري، الإسماعيليون، ص 421.

[32] إسماعيل ك. بونوالا، "المخطوطات الإسماعيلية في اليمن"، مجلة المخطوطات الإسلامية، العدد 5 (2014)، https://www.dawoodi-bohras.com/pdfs/ismailiMSSfromYemen.pdf

[33] "وحدة المقتنيات الإسماعيلية الخاصة"، معهد الدراسات الإسماعيلية، https://www.iis.ac.uk/library-and-special-collections

[34] "وحدة المقتنيات الإسماعيلية الخاصة"، معهد الدراسات الإسماعيلية؛ انظر كذلك مقابلة عبر الزووم مع أحد الباحثين من الطائفة الإسماعيلية، 1 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[35] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021؛ مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي، 7 يناير/كانون الثاني 2022.

[36] مقابلة عبر الزووم مع ألفت الدبعي، 14 مارس/ آذار 2022.

[37] "إنجازات الدار"، مؤسسة الهمداني الثقافية، تم دخول الموقع في 25 يوليو/ تموز 2022، https://dmhsr.blogspot.com/p/blog-page_16.html

[38] أحمد أمين، "محمد بن عبد الوهاب"، زعماء الإصلاح في العصر الحديث (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2010).

[39] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[40] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

وهب عالم الدين اليمني المعروف حسين فيض الله الهمداني جزءًا من محتويات مكتبة جده الشخصية -بما في ذلك مخطوطات إسماعيلية من اليمن والهند -إلى جامعات في مومباي وألمانيا ولندن. كما أهدى ابنه عباس عددًا كبيرًا من المخطوطات لمعهد الدراسات الإسماعيلية في لندن بعد أن تولى منصبًا هناك عام 2006، [41] وهو ما أثار نزاعًا قانونيًا حين طالب ابن شقيق عباس "عمرو بن معد بن يكرب الهمداني"، مؤسس ورئيس مؤسسة الهمداني الثقافية، أن يتيح المعهد -على الأقل نسخًا إلكترونية من جميع المخطوطات.[42] رغم ما يؤكده المعهد بأن تبرع عباس الهمداني جاء لضمان حماية المخطوطات ورقمنتها، ما يزال الوصول إليها يحتاج إلى إذن.[43]

[41] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[42] لم يُعثر سوى على 18 مخطوطة من بين مئات المخطوطات التي يحتفظ بها المعهد؛ انظر: مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[43] رسائل بريد إلكتروني مع وافي مؤمن، رئيس وحدة المقتنيات الإسماعيلية الخاصة، معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن، فبراير/ شباط 2022.

المجتمع الإسماعيلي في اليمن

يحتفل الإسماعيليون الداووديون بأعيادهم، مثل عيد الغدير وذكرى وفاة دعاتهم ورموزهم، أبرزهم الملكة أروى، وتتضمن هذه المناسبات مجالس وعظ تُعقد في العشرة الأيام الأوائل من شهري محرم ورمضان.[44] للإسماعيليين أماكن تجمع، أبرزها مركز الفيض الحاتمي في حي حدة بصنعاء والمسجد البرهاني بمنطقة نقم بالقرب من صنعاء،[45] علمًا أن الإسماعيليين السليمانيين يتميزون بقلة شعائرهم ومناسباتهم الدينية. للبهرة الداووديين الموجودين في مختلف أنحاء العالم هيكل تنظيمي قائم على تراتبية واضحة، يُدار من مقر الطائفة في مومباي.[46] يدفع الداووديون الخُمس والزكاة إلى الداعي المطلق، وهي مصدر تمويل لعدة منظمات ومؤسسات تتبعهم، مثل الجامعة السيفية، ولمشاريع الترميم المختلفة التي تقوم بها الطائفة.[47] يتميز الداووديون أيضًا بلباسهم التقليدي الأبيض، الذي يعكس اللون الرسمي للدولة الفاطمية.[48] عند بلوغ سن الخامسة عشرة، يقسم أتباع الطائفة قسم الولاء والطاعة للداعي المطلق فيما يُعرف بطقس الميثاق،[49] يحصلون بعدها على بطاقة تعريف إلكترونية تخولهم الحصول على عدة امتيازات تتعلق بالإسكان والقروض الميّسرة والرعاية الصحية.[50] يفقد اليمنيون من أتباع الطائفة الإسماعيلية الداوودية -غير الحاصلين على البطاقة -تلك المزايا حال سفرهم للخارج.[51] ورغم أن نظام التضامن الاجتماعي لليمنيين من أتباع الطائفة الإسماعيلية السليمانية يعد أقل تنظيمًا، تكاتف الأطباء الإسماعيليون للتعامل مع حالات الإصابة بفيروس كورونا داخل مجتمعهم إبان تفشي الجائحة، دون الاعتماد على الخدمات الصحية السيئة التي تقدمها الحكومة.[52]

خلال انتفاضة الربيع العربي عام 2011، توفي الداعي السليماني دون تعيين خليفة له. اتفقت المرجعيات الإسماعيلية على تعيين الشخص الأكبر سنًا بينهم ليكون خليفة الداعي الأمر الذي أصاب بعض الإسماعيليين الأصغر سنًا بخيبة أمل.[53] باستثناء هذه الحادثة، لوحظت فجوات قليلة بين أجيال الطائفة الإسماعيلية خلال المقابلات المتعددة التي أُجريت في إطار إعداد هذه الدراسة. العديد ممن قُوبِلوا من الإسماعيليين تحدثوا عن الالتزامات الاجتماعية والدينية المفروضة عليهم بحكم كونهم من أتباع الطائفة، لكنهم أعربوا عن امتنانهم للامتيازات التي يحظون بها.[54]

[44] قطب الدين "الطيبيين البهرة الداووديين"
[45] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.
[46] صفية قطب الدين "تاريخ الطيبيين البهرة الداووديين في العصر الحديث: الداعين والدعوات والمجتمع"، في دفتري تاريخ الإسماعيليين الحديث، ص 297 - 330
[47] دفتري، الإسماعيليون، ص 494.
[48] صفية قطب الدين "تاريخ الطيبيين البهرة الداووديين"
[49] طاهرة قطب الدين "الطيبيين البهرة الداووديين"؛ مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 17 يناير/كانون الثاني 2022.
[50] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني. 23 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ طاهرة قطب الدين "الطيبيين البهرة الداووديين"
[51] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية، 13 يناير/ كانون الثاني 2022.
[52] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 6 يناير/كانون الثاني 2022.
[53] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 6 يناير/كانون الثاني 2022.
[54] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 37 عامًا، 14 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

يمكن ملاحظة وجود فجوة أكبر بين أجيال الإسماعيليين المتركزين في الشمال بسبب زيادة مستوى التعليم بين أوساط الشباب الإسماعيلي هناك والشكاوى المتعلقة بارتفاع كلفة الزواج التي يردد صداها شرائح المجتمع اليمني. بذل الشيخ الصفي الكاهلي -المسؤول عن لجنة الزواج داخل الطائفة الإسماعيلية السليمانية -جهودًا لتقليص عدد الأيام التي تُنظم فيها مراسم الزواج لخفض التكاليف على الأسر.[55]

[55] مقابلة عبر الزووم مع أحد الباحثين من أتباع الطائفة الإسماعيلية، 25 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

الإساءة والاضطهاد



مسجد الخوجة الذي تعرض للتدمير في عدن، تأريخ 3 أغسطس/ آب 2022 // صورة لمركز صنعاء

تعرض الإسماعيليون في اليمن خلال حُكم الإمامة الزيدية لمذابح جماعية ومحاولات تحويلهم قسرًا إلى المذهب الزيدي.[56] كما تعرض أتباع الطائفة للوصم من قِبل المجتمع ممن اعتبروهم أقلية متحفظة تروج للرذيلة والكفر، علمًا أن الإسماعيليين لا يزالون يتأثرون حتى اليوم بهذه الأحكام المسبقة عليهم، لا سيما في أوساط المجتمعات القبلية الشمالية.[57] من الأمثلة على ذلك الاعتقاد الشائع بأن الإسماعيليين يقطعون اليد اليسرى لموتاهم ليتمكنوا من تلقي كتاب أعمالهم بيمينهم يوم القيامة، وهو شرط أساسي لدخول الجنة بحسب المعتقدات الدينية.[58] خلال المقابلات، تطرقت فتاة ورجل كبير في السن بشكل صريح إلى وجود صورة نمطية سائدة لدى المجتمع عن تعدد الشركاء الجنسيين لأتباع هذه الطائفة، بينما اكتفى الآخرون ممن قُوبِلوا بالتلميح إلى الأحكام المسيئة التي تمس شرفهم وأخلاقهم.[59]

[56] صفية قطب الدين "تاريخ الطيبيين البهرة الداوودين".

[57] " ملامح من تاريخ الإباحة الجنسية في المرجعية الشيعية"، مشاركة على منتدى شبكة الدفاع عن السنة، تم دخول الموقع في 1 أبريل/نيسان https://dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=104097

[58] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 37 عامًا، 17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[59] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 34 عامًا، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 58 عامًا، 5 فبراير/ شباط 2021.

بعد توحيد شطري اليمن الشمالي والجنوبي عام 1990، امتدت الأحكام المسبقة السائدة عن أتباع الطائفة الإسماعيلية من شمال البلاد إلى الجنوب، حيث لم تكن موجودة من قبل.[60] تحدث الأشخاص المُقابلين عن التعريض المستمر حول أخلاقهم من قِبل زملائهم في العمل والدراسة، أو ردود الفعل السلبية بمجرد أن يعلم من يتبادل معهم أطراف الحديث أنهم إسماعيليون.[61] ذكرت إحدى الفتيات أن صديقتها صرخت قائلة: "يامه!" عند اكتشافها بأنها إسماعيلية، وهو رد فعل يعبّر عن الدهشة والاستياء في آن واحد.[62] تحدثت إحدى الشابات عن أسئلة شخصية محرجة واجهتها من زميل لها في المدرسة أمام بقية الزملاء في الفصل،[63] بينما ذكر شاب إسماعيلي أنه ارتبط عاطفيًا بفتاة غير إسماعيلية، إلا أن أسرتها رفضته خوفًا من وصمة العار الاجتماعية التي ستلحق بهم جراء النسب.[64] رغم هذا، أشار بعض المُقابَلين -معظمهم من الإسماعيليين الشباب من الشمال -إلى أنهم لم يواجهوا أيًا من ردود الفعل هذه، وأن الصور النمطية التقليدية عن الإسماعيليين آخذة في التغير.[65]

في العقود الأخيرة، تصاعدت حدة الخطاب المعادي للإسماعيليين من جانب السلفيين والإخوان المسلمين،[66] ويتهم أتباع الطائفة الإسماعيلية نظام الرئيس الأسبق علي عبدالله صالح بتشجيع ذلك، خاصة بعد حرب عام 1994.[67] في عدن، شكل هذا الخطاب الجديد نقطة تحول في التمييز الذي كان يُمارس ضد الطائفة الإسماعيلية في عدن على أساس القومية العربية، والذي كان يركز على الإسماعيليين الداووديين المنحدرين من أصول هندية.[68]

تنامى التحريض السلفي ضد الإسماعيليين خلال الحرب الدائرة، مع اتهام البهرة الداووديين بالتعاطف مع الحوثيين الزيديين أو التعاون معهم بحكم انتماء كليهما للطائفة الشيعية.[69] وصل التحريض لدرجة اتهام نساء مسنات من طائفة البهرة بالعمل لصالح الحوثيين كقناصات من داخل منازلهن.[70] في نوفمبر/تشرين الثاني 2015، دُمر مسجد الخوجة التابع للشيعة في عدن، الذي يعود تأريخه إلى 130 عامًا، على أيدي عناصر من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب -حسب ما أفادت تقارير -كجزء من حملة هجمات على المقدسات الشيعية، وبعد تضرره في وقت سابق على الأرجح خلال إحدى الغارات الجوية للتحالف الذي تقوده السعودية.[71]

[60] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 17 يناير/كانون الثاني 2022. انظر أيضًا: علي البخيتي، "متى سنعتذر للإسماعيلية؟" شبوة برس، 31 مايو/أيار 2014. https://shabwaah-press.info/news/17354

[61] مقابلة عبر الزووم مع شاب إسماعيلي، 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[62] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[63] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 13 يناير/كانون الثاني 2022.

[64] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 5 يناير/كانون الثاني 2021.

[65] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 26 عامًا، 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 23 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[66] من هم البهرة؟ وما هي عقائدهم؟ وما حكم الزواج والتزوج منهم. موقع الإسلام سؤال وجواب. https://islamqa.info/ar/answers/107544/من-هم-البهرة-وما-هي-عقائدهم-وما-حكم-تزويجهم-والتزوج-منهم

[67] مقابلة عبر الزووم مع مرجعية دينية إسماعيلية، 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

[68] مقابلة عبر الزووم مع مرجعية دينية إسماعيلية، 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

[69] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

[70] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 13 يناير/ كانون الثاني 2022؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

[71] وليد العمري، "صور: متشددون دمروا (الحسيني) أقدم مساجد عدن"، وكالة خبر، 30 نوفمبر/تشرين الثاني 2015، https://khabaragency.net/news44383.html. "مرتزقة العدوان يُزورون اسم مسجد الحسيني "الخوجة" الأثري بعد تدميره بمدينة عدن"، موقع يمني برس 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 2019 ، https://www.yemenipress.net/archives/173202. ومقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/تشرين الثاني 2021. للاطّلاع على المزيد حول تدمير المواقع التاريخية خلال الحرب، انظر عميدة شعلان، " المعالم الأثرية اليمنية.. ضحية الحروب والإهمال وعبث الإنسان"، موقع قنطرة، 7 يونيو/حزيران 2015، https://ar.qantara.de/content/الإرث-الحضاري-الإنساني-في-اليمن-المعالم-الأثرية-اليمنيةضحية-الحروب-والإهمال-وعبث-الإنسان

كان الإسماعيليون يترددون على هذا المسجد أحيانًا، رغم أن المسجد الرئيسي الخاص بطائفة البهرة في عدن ظل بمنأى عن الاعتداءات. في جميع الأحوال، دفعت المضايقات معظم الأسر الإسماعيلية إلى مغادرة مساكنها في حي كريتر -حيث يقطن الداوودیون منذ زمن بعيد -وإغلاق العديد من متاجرها،[72] منهم صاحب أحد أشهر المطاعم في كريتر "مطعم ريمي" الذي انتقل إلى حي آخر في المدينة بعد تلقيه تهديدات بالخطف وتعرضه للابتزاز عبر مطالبته بدفع فدية لقاء إطلاق سراح شقيقه المختطف.[73] غادر بعض الإسماعيليين مدينة عدن تمامًا متجهين إلى صنعاء ومدن أخرى، بينما نأى الإسماعيليون الداوودیون بأنفسهم عن ارتداء لباسهم الأبيض التقليدي الذي يميزهم كأتباع للطائفة الإسماعيلية منذ اندلاع الحرب في 2015.[74]

[72] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[73] "إغلاق أبواب أحد أقدم مطاعم عدن بسبب تهديدات عصابة مسلحة"، عدن برس، 15 مارس/آذار 2021. http://www.adenpress.news/news/5510 . انظر أيضًا، "من هم الإسماعيليون؟"، مركز إنصاف، https://insaf-ye.org/ar/archives/1242 . مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة، 17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[74] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

الاندماج والهوية

ينظر الإسماعيليون في الشمال إلى الثورة اليمنية لعام 1962 باعتبارها لحظة عظيمة لتحررهم من الاضطهاد المُمارس ضدهم. روى أحد الأشخاص المُقابلين كيف سُجن والده وقُتل في عهد الإمام يحيى حميد الدين، [75] بينما تحدثت امرأة إسماعيلية مسنة عن تعرض الإسماعيليين في أغلب الأحيان للرشق بالحجارة أمام مساجدهم خلال تلك الحقبة من الاضطهاد. بالتالي شكل سقوط حُكم الإمامة، وتولي عبدالله السلال منصب رئيس الجمهورية العربية اليمنية بدعم من الرئيس المصري جمال عبدالناصر "المرة الأولى التي يُسمح فيها لنا بالغناء (مادام السلال وعبدالناصر فوق الكراسي، با أغني وأقول كل اللي براسي)".[76]

أدت التغيرات داخل المجتمع وفي المناهج التعليمية، التي ترافقت مع قيام الدولة الجمهورية للسماح بنوع من الانسجام بين مختلف الطبقات والطوائف والمناطق، [77] إلا أن الطبيعة المحافظة للطائفة الإسماعيلية حدت من اندماجهم مع غيرهم في شمال البلاد وجنوبها على حد سواء. قالت فتاة إسماعيلية إن الزواج من خارج الطائفة كان دومًا مقبولًا نسبيًا للرجال لكن ليس للنساء، إلى أن تمكنت ابنة عمها من كسر هذا العُرف في تسعينيات القرن الماضي بدعم من والدها الذي كان عضوًا في الحزب الاشتراكي بعدن.[78]

تعود نشأة الطائفة الإسماعيلية في عدن إلى فترة الاستعمار البريطاني، حيث استقبلت المدينة الساحلية -كانت مستعمرة بريطانية -خلال تلك الفترة مهاجرين من شتى أنحاء العالم، بمن فيهم الإسماعيليون القادمون من الهند ممن استقروا في حي كريتر، وينحدر بعضهم أساسًا من أصل يمني.[79] عبّر داووديون مُسنون من عدن عن حنينهم لتلك الفترة، مستذكرين احتفاء مختلف الأطياف بالأعياد الدينية لبعضها البعض، [80] لكن رغم أجواء التعايش تلك، كان الداووديون يفضلون الزواج من بنات طائفتهم مراعاة للثوابت الدينية؛ ولوحظ خلال إجراء المقابلات إشارتهم إلى غيرهم من اليمنيين بال"عرب"، مما يعكس إحساسًا مختلطًا بالهوية كهنود من أصل يمني، عادوا للاستقرار في اليمن.[81]

اليوم، يشعر الداووديون الموجودون في عدن، بمن فيهم أولئك الذين يعتبرون أنفسهم غير متدينين، بالاعتزاز بنظام التكافل الاجتماعي القائم داخل مجتمعهم وبعاداتهم الاجتماعية كالنظافة والطهارة والالتزام بالمواعيد واحترام كبار السن باعتبارها قيمًا ضرورية للبقاء في بيئة أصبحت أكثر عدائية تجاههم مؤخرًا.[82]

[75] مقابلة عبر الزووم مع مرجعية دينية إسماعيلية، صنعاء، 15 مايو/أيار 2021.

[76] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة، صنعاء، 15 مايو/أيار 2021.

[77] شيلا كارابيكو، "عدم المساواة بين الجنسين والوضع في اليمن: الشرف والاقتصاد والسياسة"، في النظام الأبوي والتنمية: مواقف المرأة في نهاية القرن العشرين، تحرير فالنتين م. مقدم (أكسفورد: مطبعة كلارندون، 1996)، ص 98-80.

[78] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 17 يناير/كانون الثاني 2022.

[79] هاري، "التبادل والتنقل"، ص 69-42.

[80] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021. مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة مقيمة في عدن، 15 مايو /أيار 2021.

[81] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[82] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة، 17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 37 عامًا، 14 نوفمبر/تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 34 عامًا، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 17 يناير/كانون الثاني 2022.

اشتكى قلة فقط ممن أُجريت معهم المقابلات من هذه الالتزامات باعتبارها تتداخل مع خياراتهم الشخصية أو تشجع على العزلة والتقوقع،[83] لكن الغالبية أعربوا عن اعتزازهم بتميزهم الفريد كجماعة وبإرثهم التاريخي، بما في ذلك الدولة الصليحية والملكة أروى.[84]

بشكل عام، يعمد الإسماعيليون إلى إخفاء هويتهم كأتباع هذه الطائفة في بعض البيئات الاجتماعية، كالمدارس وأماكن العمل، إلا أن بعض شبانهم في الشمال يرنون إلى الإفصاح عن هويتهم والتفاخر بها علنًا. ذكرت إحدى الفتيات الإسماعيليات أن الطائفة أثبتت وجودها كمُكوّن مسالم ومحايد داخل المجتمع اليمني، ولم يلطخ أتباعها أيديهم بدماء غيرهم من اليمنيين لأنهم نأوا بأنفسهم عن أي دور في الصراع الدائر، وهو ما دفعها إلى إعادة التفكير في مسألة الإفصاح عن هويتها الإسماعيلية.[85] أشارت نفس الفتاة إلى أن نشأتها في بيئة سنية سلفية، غرست في رأسها -من على مقاعد الدراسة -فكرة أن عقيدة الإسماعيليين وغيرهم من الشيعة عقيدة باطلة، وبالتالي كانت صدمتها عنيفة حين اكتشفت في سن المراهقة أن أصول أسرتها تعود للطائفة الإسماعيلية. ورغم أنها ما تزال تشعر بأنها أقرب إلى أتباع السنة من الناحية الاجتماعية، ينتابها الاعتزاز بالانتماء للطائفة الإسماعيلية.[86]

ذكرت فتاة إسماعيلية أخرى، نشأت في السعودية، أن أشقاءها تأثروا بالخطاب المعادي للشيعة هناك وتحولوا إلى المذهب السني.[87] في عدن، تأثرت العادات والطقوس الدينية للداوودیين (كالاحتفال بعاشوراء) بالثقافة المحيطة وأصبحت أقرب إلى الممارسات السنية في العقود الأخيرة، ما أدى بدوره إلى إعادة التركيز على تعزيز هوية البهرة الداوودية التي تميز الطائفة عن غيرها.[88]

أشار الإسماعيليون الذين قُوبِلوا في عدن إلى أنهم يعدون أنفسهم أبناء المدينة في المقام الأول،[89] وذكر البعض أن البهرة الداوودیين يعكسون جوهر الإسماعيلية من خلال موقفهم المنفتح والمتسامح تجاه التعايش،[90] رغم تشكيك البعض في هويتهم بسبب انتمائهم المذهبي واختلافهم الإثني.[91]

[83] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 47 عامًا، 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الإنترنت مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 33 عامًا، 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[84] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 5 يناير/ كانون الثاني 2021.

[85] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 40 عامًا، 17 يناير/كانون الثاني 2022؛ انظر أيضًا: "الإسماعيليون في اليمن: ينبذون الصراعات ويتعايشون بسلام"، موقع صوت الأمل، 28 مايو/ أيار 2021، https://sawt-alamal.net/2021/05/28/الإسماعيليون-في-اليمن-ينبذون-الصراعا/

[86] مقابلات عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 40 عامًا مقيم في اليمن وامرأة إسماعيلية تقيم في الأردن، 6 يناير/ كانون الثاني 2022.

[87] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 30 أكتوبر/ تشرين الأول 2021.

[88] ملاحظات أبدتها الباحثة هدى جعفر التي تنتمي إلى طائفة البهرة في عدن.

[89] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[90] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة، 17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[91] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021. مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 13 يناير/ كانون الثاني 2022.

يندمج الأقل تدينًا داخل المجتمع بسهولة أكبر،[92] في حين يتفق كل من الإسماعيليين من كبار السن والشباب في عدن بأن الزواج من داخل الطائفة (البهرة) يُعد أسهل.[93] يظل التواصل بين الإسماعيليين الداووديين (البهرة) والإسماعيليين السليمانيين (المكارمة) في اليمن محدودًا،[94] رغم أن أتباعهما يزورون نفس الأضرحة ويحتفلون بنفس المناسبات. تمتد سلطة نائب داعي الطائفة الداوودية باليمن، وهو حاليًا السيد أحمد النجار، على جميع البهرة الداووديين في شمال وجنوب البلاد على حد سواء.[95]

[92] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 30 أكتوبر/ تشرين الأول 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 13 يناير/ كانون الثاني 2022.

[93] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 29 عامًا، 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 23 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2022.

[94] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[95] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

المرأة الإسماعيلية

حظيت الملكة أروى بمكانة استثنائية بين الإسماعيليين كشخصية تاريخية وصلت إلى أعلى مرتبة دينية وهي مرتبة الحُجة، إلا أن المثال الذي اختطته من خلال توليها المُلك والقيادة لا ينعكس على وضع المرأة الإسماعيلية في الوقت الراهن، فمعظم النساء الإسماعيليات يعملن كربات بيوت، وقلة منهن يدرسن ليصبحن طبيبات أو مهندسات.[96] يرى بعض الإسماعيليين الداووديين في عدن أن مجتمعهم أكثر تحفظًا إزاء المسائل المتعلقة بالنساء مقارنة بالأطياف المجتمعية الأخرى.[97] في حين لم يتذمر معظم الشباب الذكور المقَابلين من أي قيود فرضتها عليهم الطائفة، اشتكت عدة فتيات من التدخل في خياراتهن. حملت شكوى إحداهن أصداء شكاوى غيرهن من النساء الإسماعيليات اللواتي قُوبِلن في الشمال والجنوب بقولها: "تُفرض علينا قيود أكثر في ظل تدخل الطائفة في لباسنا ومواعيد خروجنا، إضافة إلى أمورنا الشخصية كالعمل والزواج والسفر."[98]

ذكر عدد ممن قُوبِلوا أن دعم الأسرة يمكن أن يحدث فارقًا كبيرًا في حياة المرأة وحريتها.[99] أدت الصور النمطية السلبية للمجتمع إلى جعل زواج المرأة الإسماعيلية من رجل غير يمني أسهل مقارنة بزواجها من يمني من خارج طائفتها.[100] فسّرت إحداهن أن هذا التشدد تجاه المرأة مدفوع بالقلق المفرط داخل المجتمع الإسماعيلي إزاء الحفاظ على سمعتهم في مواجهة الفكرة النمطية السائدة عن أتباع الطائفة، مثل مزاعم التكفير والانحلال الأخلاقي.[101] ورغم نشاط الإسماعيليين في مجال التجارة والقطاع الخاص بشكل عام، لم تُصنف سوى امرأة واحدة فقط من الأشخاص المقَابَلين كسيدة أعمال، وهي مستقرة بشكل أساسي في أوروبا.[102]

ذكر معظم الرجال والنساء من الشمال أن الإسماعيليات يتمتعن اليوم بمستوى جديد من الاستقلالية في حياتهن العلمية والعملية.[103] أشار عدد منهم إلى أن الحرب جعلت النساء أكثر استقلالية، باعتبارهن معيلات لأفراد أسرهن ممن أصبحوا يعتمدون على مصدر دخلهن،[104] بينما رأى البعض

أن ذلك يلقي بالمزيد من المسؤوليات على عاتقهن.[105]

[96] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.
[97] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[98] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[99] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 34 عامًا، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[100] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 34 عامًا، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[101] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 42 عامًا، 13 يناير/ كانون الثاني 2022.
[102] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 34 عامًا، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[103] مقابلة عبر الزووم مع امرأة تبلغ من العمر 33 عامًا، 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 58 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[104] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 40 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.
[105] مقابلة عبر الزووم مع امرأة تبلغ من العمر 33 عامًا، 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

الإسماعيليون والسياسة

إجمالًا، هناك توجه عام لاعتزال السياسة بين الإسماعيليين، فالداوودين خصوصًا يصنفون أنفسهم تجارًا ويرفضون علانية الخوض في أي نشاط سياسي.[106] كان للإقصاء الذي مارسته الجماعات السياسية ضد الإسماعيليين أثر في تعميق هذه المواقف، حيث حاول السلفيون وأتباعهم من حزب الإصلاح منعهم من المشاركة بمؤتمر الحوار الوطني المنعقد في 2013-2014.

حاولت السلطات الحوثية الرفع من شأن الإسماعيليين بوصفهم شيعة، حيث ترقى الشيخ صفي الكاهلي ليصبح عضوًا في الأمانة العامة لحزب المؤتمر الشعبي العام بصنعاء، وعُيِّن في مجلس الشورى، وكذلك الأمر بالنسبة لعمرو الهمداني، وهو شخصية بارزة أخرى من الطائفة الإسماعيلية في صنعاء. أصبح صالح شعبان أول وزير إسماعيلي حين شغل منصب وزير المالية التي يديرها الحوثيون، من عام 2016 إلى عام 2018، فضلًا عن ترقية عدد من وكلاء الوزارات ومدراء العموم في الدوائر الحكومية.[107]

الرئيس الأسبق لليمن الشمالي أحمد الغشمي، الذي شغل منصبه لمدة ثمانية أشهر حتى اغتياله في يونيو/ حزيران 1978، ممن كان يُعتقد أنه من أتباع الطائفة الإسماعيلية رغم أن ذلك لم يكن معروفًا للكثيرين ذلك الوقت. أكد علماء الدين الإسماعيليين أنه كان إسماعيليًا داووديًا،[108] بينما أفاد أحد المقربين منه أنه رآه ذات مرة يستقبل سلطان طائفة البهرة خلال زيارة له إلى اليمن من الهند بكل تقديس وتبجيل.[109] ينحدر الغشمي من قرية طيبة في همدان، القريبة من صنعاء، وهي منطقة غادرها الإسماعيليون بأعداد كبيرة متوجهين إلى نجران في عهد الإمام يحيى حميد الدين (1918-1948).[110] قد يفسر انحدار الرئيس الغشمي من طائفة مضطهدة أسباب إخفاء هويته، علمًا أن لا أحد ممن أُجريت معهم المقابلات كان على علم بأصول الغشمي، بل كان البعض ينظر إليه بشكل سلبي على ضوء اتهامه بالتورط في اغتيال سلفه الرئيس إبراهيم الحمدي.[111] بالنسبة لوضعهم في الجنوب، لم يتولَ الإسماعيليون أي مناصب حكومية رفيعة في فترة حُكم اليمن الجنوبي، ويُعزى ذلك جزئيًا إلى صعود أفراد من أبناء المناطق الريفية على حساب أبناء مدينة عدن، حسبما أفاد أحد الأشخاص المُقابَلين.[112]

تباينت وجهات نظر الإسماعيليين في الشمال والجنوب تجاه الحرب الدائرة، حيث أكد سكان عدن رفضهم للحوثيين، ورفض الاتهامات الموجهة لهم بتعاطفهم مع الحوثيين بسبب التقارب العقائدي. ذكر أحد المُقابَلين أنه فقد أحد أفراد أسرته الذي قاتل في صف المقاومة بعدن،[113] بينما قالت أخرى: "نحن نرفض الحوثيين، حتى لو كانوا شيعة مثلنا".[114]

[106] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[107] مقابلة عبر الزووم مع أحد الباحثين من أتباع الطائفة الإسماعيلية، 10 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[108] مقابلة عبر المراسلة النصية على الواتساب مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 8 يناير/ كانون الثاني 2022.

[109] مقابلة عبر المراسلة النصية على الواتساب مع أحد السياسيين اليمنيين، 16 يناير/ كانون الثاني 2022.

[110] صفية قطب الدين "تاريخ الطيبيين البهرة الداوودين"، ص 384.

[111] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 58 عامًا، 11 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة، صنعاء، 15 مايو/ أيار 2021.

[112] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية مسنة، 17 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[113] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي مسن، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[114] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 32 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

من جهة أخرى، انقسمت الآراء في الشمال بشأن جماعة الحوثيين، حيث يراهم غالبية المُقابَلين كسلطة أمر واقع تبذل قصارى جهدها لبسط حُكمها في ظل ظروف الحرب الصعبة،[115] بينما ذهب البعض للإشادة بهم باعتبارهم أفضل سلطة حكمت اليمن وعززت من مكانة الإسماعيليين[116] معتبرين أن مسؤولية اندلاع الحرب تقع على عاتق العدوان الخارجي.[117] كانت النساء الإسماعيليات أكثر انتقادًا لجماعة الحوثيين، حيث تحدثت إحداهن قائلة "هم يتصرفون كقوة احتلال ويريدون التحكم في كل شيء"،[118] بينما رأت أخرى أنهم أعادوا اليمن للوراء.[119] كما وصفهم أحد الرجال الإسماعيليين بـ "العصابة وقطاع الطرق" الذين أعادوا اليمن إلى عصور الظلام.[120]

معظم المُقابَلين لا ينظرون إلى جماعة الحوثيين كامتداد للإمامة الزيدية، مشيرين إلى المعاملة الإيجابية التي تلقاها الإسماعيليون من قِبل السلطات الحوثية. فسّر أحدهم ذلك بقوله "يحاول الحوثيون تقديم أنفسهم على أنهم شيعة، والإسماعيليون هم جزء من الطائفة الشيعية".[121] قال آخر إن الحوثيين جماعة مختلفة عن الأئمة الزيديين، ذلك أنهم تأثروا بالأيديولوجية القومية واليسارية،<?>[122] بينما ذكر أحدهم أن زعيم الجماعة عبدالملك الحوثي أعرب عن أسفه عن الظلم الذي تعرض له الإسماعيليون على يد أسلافه الأئمة، خلال اجتماع سري مع المرجعيات الدينية الإسماعيلية.[123]

وحول تأثير الحرب على أتباع الطائفة الإسماعيلية، قال واحد ممن أجريت معهم مقابلات من الإسماعيليين في الشمال إنهم تأثروا بالوضع الراهن من انعدام الأمن والتدهور الاقتصادي، حالهم حال غيرهم من اليمنيين، إلا أن انخراط الإسماعيليين بالعمل كتجار في القطاع الخاص خفف من وطأة الآثار المباشرة للحرب عليهم مقارنة بغيرهم من موظفي القطاع العام في الدولة ممن انقطعت رواتبهم،[124] غير أن الشركات التي يديرها الإسماعيليون تأثرت بانخفاض القدرة الشرائية لدى الناس وحالة التدهور الاقتصادي التي عمّت البلاد.[125] كان للحرب أثر مضاعف على الإسماعيليين في عدن بسبب الوضع الأمني المتردي هناك،[126] وبصورة عامة أعرب غالبية المُقابَلين عن أملهم في إقامة دولة تفصل السياسة عن الدين بعد انتهاء الحرب.[127]

[115] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 35 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 37 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[116] مقابلة مع أحد الباحثين من أتباع الطائفة الإسماعيلية، 25 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[117] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 35 عامًا، 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[118] مقابلة عبر الزووم مع شابة إسماعيلية تبلغ من العمر 28 عامًا، 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021

[119] مقابلة عبر الزووم مع امرأة إسماعيلية تبلغ من العمر 33 عامًا، 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2021

[120] مقابلة عبر الزووم مع رجل إسماعيلية يبلغ من العمر 35 عامًا، 13 نوفمبر/تشرين الثاني 2021

[121] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 5 يناير/كانون الثاني 2021.

[122] مقابلة عبر الزووم مع عمرو بن معد بن يكرب الهمداني، 16 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[123] مقابلة عبر الرسائل الصوتية على واتساب مع مرجعية دينية إسماعيلية، 30 أكتوبر/ تشرين الأول 2021.

[124] مقابلة عبر الزووم مع امرأة تبلغ من العمر 33 عامًا، 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[125] مقابلة عبر الزووم مع رجل يبلغ من العمر 54 عامًا، 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[126] مقابلة عبر الزووم مع رجل يبلغ من العمر 29 عامًا، 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

[127] مقابلة عبر فيسبوك ماسنجر مع رجل إسماعيلي يبلغ من العمر 42 عامًا، 5 يناير/ كانون الثاني 2021؛ مقابلة عبر الزووم مع رجل يبلغ من العمر 23 عامًا، 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

النشاط الاقتصادي للإسماعيليين

على عكس موقفهم من السياسة، ينخرط الإسماعيليون بشكل كبير في الأنشطة الزراعية والتجارية في مناطق وجودهم في حراز وصنعاء وعدن وغيرها من المناطق، وتعد مبادراتهم الزراعية في حراز لاقتلاع شجرة القات إحدى أهم المبادرات الزراعية الرامية للتخفيف من استهلاك الماء في زراعة هذه النبتة التي تستنزف ما لا يقل عن نصف المياه المستمدة من طبقات المياه الجوفية الناضبة أساسًا. بدأ الإسماعيليون اقتلاع أشجار القات في منطقة حراز -حيث يقطن بعض الداوودين رغم أن السليمانيين يشكلون الأغلبية هناك -بناءً على دعوة أطلقها سلطان طائفة البهرة محمد برهان الدين لاستبدال شجرة القات بشجرة البن خلال زيارة قام بها عام 1993.[128] تستهلك شجرة البن الواحدة ما بين 20 إلى 30 لترًا من الماء، بينما تستنزف شجرة القات الواحدة نحو 400 لتر.[129] من هذا المنطلق، أطلق ابن سلطان البهرة مفضل سيف الدين -الذي أصبح سلطان البهرة والداعي المطلق الثالث والخمسين للبهرة الداوودين عام 2014 -مشروعًا أكبر عام 1999 لاقتلاع أشجار القات في جبال حراز،[130] واقتُلعت نحو مليون شجرة، ويُعتقد أنه لم يتبقَ سوى حوالي 15 ألف شجرة. أصبح البن الحرازي ذو الجودة العالية يُباع حاليًا في أمريكا وبريطانيا واليابان وكوريا الجنوبية، مما يحقق مردودًا عاليًا للمزارعين، وحاليًا يُجرى التخطيط لتحويل مزارع البن هناك إلى محمية طبيعية.[131]

باتت الأنشطة التجارية التي تشمل زراعة وبيع القات مستهجنة دينيًا في أوساط الإسماعيليين، حالها حال الربا والكحول والشيشة والسجائر. تحدث رجل أعمال إسماعيلي من حراز قائلًا: "نحن نتصدى للقات مثل أي مواد أخرى تحظرها الشريعة الإسلامية، بتوجيهات من سلطان البهرة. نحبذ التعامل بالنقد، بعيدًا عن الديون أو القروض من البنوك وشركات التأمين، خوفًا من الوقوع في إثم الربا، خصوصاً خلال فترة الحرب، وهذا أيضًا بتوجيهات من سلطان البهرة. لا نتعامل مع البنوك إلا في أضيق الحدود".[132] ينشط الإسماعيليون أيضًا في قطاعات الاستثمار العقاري والصناعة والصرافة وتجارة التجزئة للأدوية والملابس والعطور والسلع الاستهلاكية الأخرى. يعمل عدد قليل فقط منهم في القطاع الحكومي أو القطاعين العسكري والأمني.[133]

دفع انعدام الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد العديد من الإسماعيليين للمغادرة خصوصًا في السنوات الأخيرة. يقول سيف الدين جعفر، صاحب متجر للعطور في عدن: "تقلص نشاطنا التجاري في عدن بسبب مغادرة غالبية أبناء الطائفة إلى محافظات يمنية أخرى أو إلى دول أخرى بغية تحسين مستواهم المعيشي، ولم يتبقَ سوى أقل من تسعة محلات تجارية. رغم ذلك، ما زلنا مستمرين في مزاولة التجارة بشكل طبيعي".[134]

[128] "بمساعدة سلطان البهرة: ثورة شعبية ضد القات في حراز واقتلاع أشجار تقدر بمئات الملايين"، شبوة برس، 16 يوليو/ تموز 2018، https://shabwaah-press.info/news/52781

[129] البهرة يحاربون شجرة القات في عيد الغصن، موقع المشاهد، 17 يوليو/ تموز 2018، https://almushahid.net/32277/

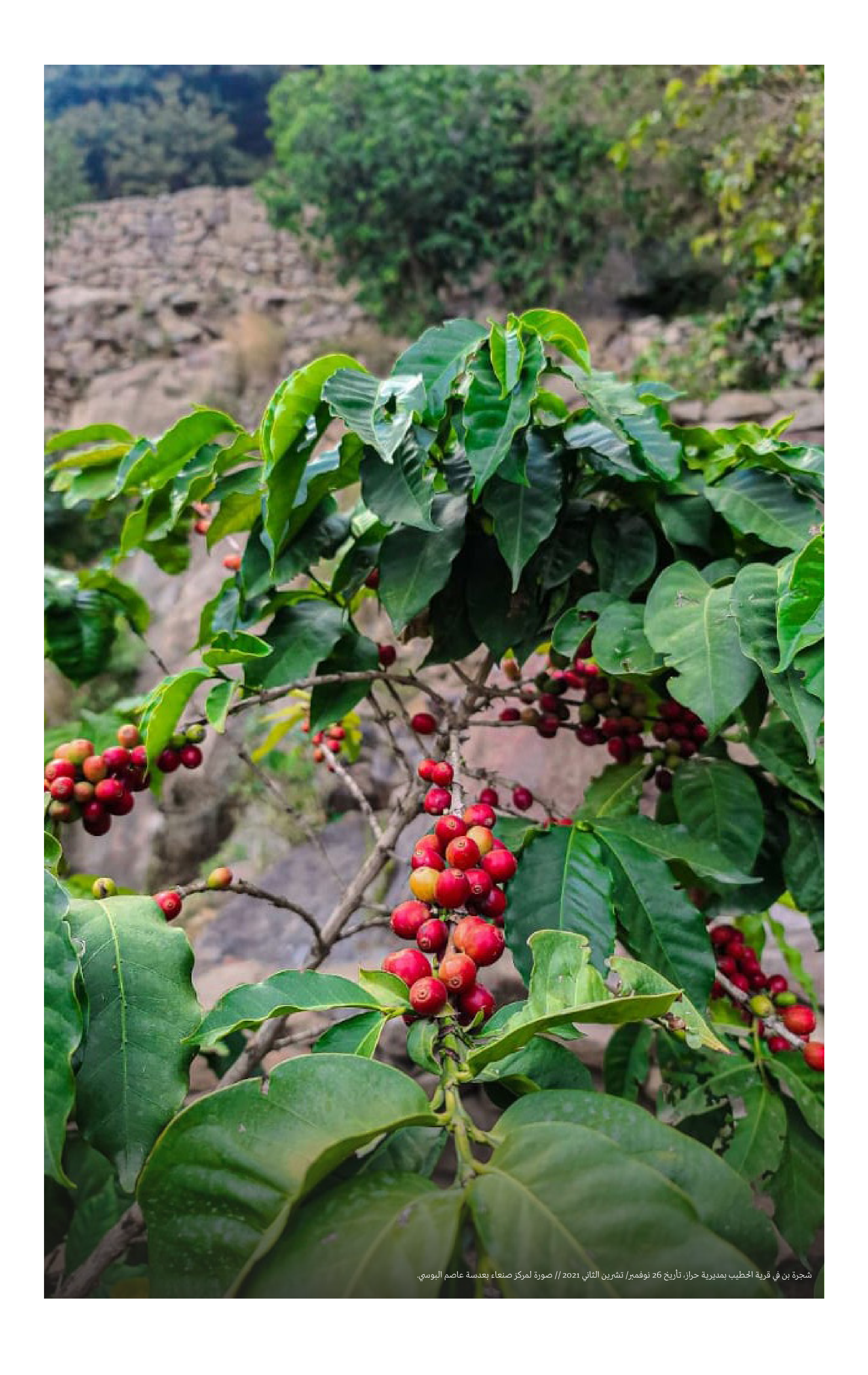
[130] بير جاتر، قحطان عبدالملك وخالد محمد سعيد، "التحقيق في اقتلاع شجرة القات من قبل المجتمع الإسماعيلي في حراز- مسح ميداني" تقرير لوزارة التخطيط والتنمية و البنك الدولي، 26 نوفمبر/ تشرين الثاني 1999، https://documents1.worldbank.org/curated/en/901631468169459587/text/599930ESW0Whit1Tree0Uprooting01PDF1.txt

[131] جاتر وآخرون، "التحقيق في اقتلاع شجرة القات من قِبل المجتمع الإسماعيلي في حراز".

[132] جاتر وآخرون، "التحقيق في اقتلاع شجرة القات من قِبل المجتمع الإسماعيلي في حراز".

[133] "الإسماعيليون في اليمن: ينبذون الصراعات ويتعايشون بسلام"، موقع صوت الأمل، 28 مايو/ أيار 2021، https://sawt-alamal.net/2021/05/28/الإسماعيليون-في-اليمن-ينبذون-الصراعا/

[134] " الإسماعيليون في اليمن: ينبذون الصراعات ويتعايشون بسلام" موقع صوت الأمل.



شجرة بن في قرية الحطيب بمديرية حراز، تأريخ 26 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021 // صورة لمركز صنعاء بعدسة عاصم البوسي.

أجبرت التهديدات والابتزازات العديد من التجار الداووديين للاستقرار في أحياء أخرى من عدن أو في محافظات أخرى، أو حتى مغادرة البلاد.[135] يقول أحد الإسماعيليين في عدن "يوجد معظم أتباع البهرة في عدن، ومن غادر مؤخرًا فعل ذلك بسبب التهديد الشنيع الذي يطالهم. يعيش البهرة حاليًا في عدن أسوأ مرحلة شهدها أتباع الطائفة منذ حوالي 150 عامًا."[136]

[135] مقابلة عبر الزووم مع فتاة من طائفة البهرة الداوودية، 17 ديسمبر/ كانون الأول 2021.

[136] مقابلة عبر الهاتف مع رجل من طائفة البهرة الداوودية يبلغ من العمر 75 عامًا ويعيش في عدن، 28 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021.

الخلاصة

عاش الشيعة الإسماعيليون، كأقلية دينية في اليمن، قرونًا من الاضطهاد في شمال البلاد على أيدي الأئمة من الشيعة الزيديين، إلا أن الثورة اليمنية عام 1962 جلبت معها غيمة ظللتهم وحسّنت أوضاعهم، ليبدأوا مرحلة طويلة من الاندماج رغم استمرار تحامل المجتمع ضدهم جراء الصورة النمطية السلبية الراسخة في الأذهان لردح من الدهر. رغم إقصائهم من المناصب الحكومية، ينشط الإسماعيليون في القطاع الخاص وكانوا في طليعة الجهود المبذولة خلال السنوات الأخيرة لاستبدال أشجار القات بأشجار البن في مناطقهم.

تحسّن وضع الإسماعيليين في الشمال إلى حد ما، في ظل سلطة الحوثيين الذين حاولوا كسب أتباع هذه الطائفة إلى صفهم عبر تقديم الاعتذارات عن الظلم والإجحاف الذي عانوا منه على يد الإمامة الزيدية. لكن كغيرهم من السلطات السابقة التي تعاقبت في اليمن، استمر الحوثيون في إخفاء المخطوطات الإسماعيلية التي عُثر عليها في الجامع الكبير بصنعاء ويرفضون إتاحتها للعامة رغم مطالبات الإسماعيليين المتكررة في هذا الشأن.

تمخضت عن فترة الاستعمار البريطاني نشأة مجتمع إسماعيلي كبير في عدن، في أعقاب استقرار هنود إسماعيليين منحدرين من أصول يمنية في المدينة الساحلية. لكن مع تنامي المد السلفي وضعف الدولة إبان احتجاجات 2011 وما أعقب ذلك من استيلاء الحوثيين على السلطة عام 2014 واندلاع الحرب، تدهور وضع الإسماعيليين بشكل كبير في عدن بعد قطع شوط طويل في الاندماج داخل المجتمع لعقود. أواخر 2015، دُمر المسجد الرئيسي لأتباع الطائفة في عدن على أيدي عناصر من تنظيم القاعدة، ما دفع الكثيرين منهم للانتقال إلى أحياء أخرى أو مغادرة المدينة تمامًا. وأصبح إخفاء هويتهم هو الواقع الجديد المألوف بين أتباع الطائفة الإسماعيلية.

على هذا الأساس، يتعيّن إيلاء أولوية لتنقيح المناهج التعليمية لتسلط الضوء على الإسهامات القيمة لفكر وفلسفة المذهب الإسماعيلي في التاريخ والثقافة وفن العمارة باليمن، التي يجدر أن تُرسخ في وعي اليمنيين عوضًا عن التهميش والازدراء الذي يعاني منه أتباع الطائفة الإسماعيلية. فضلًا عن ذلك، يتعيّن على الحكومة معالجة الوضع الحرج الذي يعاني منه أتباع الطائفة الإسماعيلية في عدن -دون تأخير لا سيما وأنها تمكنت من إرساء الأمن في المدينة -والشروع في إعادة بناء معالمهم الأثرية التي دُمرت، والسماح للإسماعيليين بالعودة إلى الأحياء التي احتضنتهم على مدى التاريخ وإعادة فتح محلاتهم التجارية. على السلطات في عدن وصنعاء اتخاذ تدابير تحفظ التراث الثقافي للإسماعيليين باعتباره جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي التاريخي والمعاصر باليمن، ويشمل ذلك الكشف عن المخطوطات الدينية الإسماعيلية وإتاحتها للعلماء والباحثين من أتباع الطائفة. علاوة على ذلك، ينبغي أن تكفل أي تسوية نهائية للصراع الدائر حرية المعتقد سواء للإسماعيليين أو لمجتمعات الأقليات الموجودة عامّة في مختلف أنحاء اليمن.

التوصيات:

- على الأطراف اليمنية ضمان وجود أحكام دستورية وقانونية في أي تسوية سياسية قادمة تكفل حقوق الأقليات وحرية الرأي والمعتقد.
- على الحكومة اليمنية توفير الحماية لأتباع الطائفة الإسماعيلية، خصوصًا في عدن، وإعادة بناء مسجدهم الذي دُمر وتشجيع من اضطروا مغادرة المدينة على العودة.
- تجريم خطاب الكراهية ضد الإسماعيليين وغيرهم من مجتمعات الأقليات في اليمن.
- يتعيّن على الحكومة استخدام المناهج التعليمية ووسائل الإعلام للتصدي للأفكار النمطية السائدة عن الإسماعيليين وتشجيع تقبّل المجتمع اليمني لمختلف الطوائف الدينية وغيرها من الفئات.
- وضع تدابير للحفاظ على إرث الإسماعيليين الثقافي كالمعالم الأثرية والمخطوطات، واعتبارها جزءًا لا يتجزأ من إرث البلاد الثقافي.
- إتاحة الوصول لمخطوطات الإسماعيليين المُحتفظ بها في الجامع الكبير بصنعاء، لأتباع الطائفة والباحثين.
- على المجتمع الدولي تكثيف جهوده ومساعيه الرامية لحماية الأقليات في اليمن، خصوصًا خلال المرحلة الحالية التي تتسم بحالة من الانفلات الأمني، واستنباط آليات للضغط على الأطراف المنتهكة لحقوق الإسماعيليين والأقليات ومعاقبة مرتكبي تلك التجاوزات.
- على مكتب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى اليمن وغيره من الجهات الفاعلة من المجتمع الدولي التشديد على أهمية حماية حقوق الأقليات خلال المفاوضات المستقبلية الرامية إلى إنهاء الحرب وبلورة تسوية سياسية تضع في صميمها هذه المسألة.
- إنشاء إطار حكومي قانوني وإداري -خارج اختصاصات الوزارات الحالية -يركز على حماية الأقليات ورعاية مصالحهم ومساعدتهم على الاندماج والتعايش داخل المجتمع.

ميساء شجاع الدين هي باحثة أولى في مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية. نشرت كتاباتها وتحليلاتها في العديد من وسائل الإعلام، مثل موقع جدلية، والسفير العربي، وصحيفة العربي الجديد، وموقع المونيتور. شجاع الدين حاصلة على ماجستير في الدراسات الإسلامية من الجامعة الأميركية بالقاهرة، حيث ركزت أطروحتها على صعود التطرف الزيدي في اليمن.

صلاح علي صلاح هو باحث وكاتب في مركز صنعاء، حيث تتركز أبحاثه عن العلاقات والارتباطات بين الأطراف المحلية وأثرها على الحالة السياسية في اليمن. قبل انضمامه لمركز صنعاء، عمل كمدير عام لقطاع الرقابة والتفتيش الفني في الهيئة الوطنية العليا لمكافحة الفساد كما أنه ناشط مهتم بالشأن العام وله العديد من المشاركات في الفعاليات السياسية والمدنية، كما كان له تجربة في حل وتسوية عدد من النزاعات المحلية وجهود الوساطة للإفراج عن مجموعة من سجناء الرأي والناشطين المدنيين والسياسيين.

هدى جعفر هي باحثة وكاتبة يمنية متخصصة في تحليل النزاعات المراعي للنوع الاجتماعي (الجندر)، وسبق أن عملت كمتخصصة في إطار الرصد والتقييم.

أحمد أبو ذر هو الاسم المستعار لأحد الباحثين من أتباع الطائفة الإسماعيلية.

هذا التقرير هو جزء من سلسلة إصدارات ينتجها مركز صنعاء بتمويل من مملكة السويد، وتركز على مجتمعات الأقليات في اليمن.



WWW.SANAACENTER.ORG